الكونت الذى قابلته فى معتقل الزيتون

****

عندما اقيلت حكومة النحاس فى اكتوبر ٤٤ وجاءت حكومة احمد ماهر .. تصورت ان الحكومة الجديدة ستفرج عنا .. ولكنهـا افرجـت عـن جميع المعتقلين الا المقبوض عليهم باوامر السلطات البريطانية .

وادركت ان قرار خروجى من المعتقل لن ياتى من الخارج ... بل من داخلى انا ... واصدرت قرارى بالهروب من السجن ... ،

كان اهم خبر سمعته وانا فى معتقل " ماقوسة " بالمنيا هو خبر اغلاق المعتقل ... ونقلى الى معتقل الزيتون .

وقبل ان يأتينى خبر النقل .. كان زميلى فى المعتقل حسن عزت قد انتقل الى المستشفى للعلاج .. وهناك دبر خطة للهرب ونجح فيها .

اما فقد سعدت سعادة عظيمة لانتقالى من المنيا الى الزيتـون .. ورغم اننى فى الحقيقة انتقلت من سجن الى سجن ومن قـضبان الـى قضبان .. الا ان العودة الى القاهرة كانت فى حد ذاتها شيئا رائعـا .. كنت كالجندى الذى عاد الى قلب المعركة بعد غياب طويـل .. وكانـت القاهرة هى القلب النابض .. وخاصة بالنسبة لمن نذروا حياتهم لقضية الوطن .. كذلك شعرت بالراحة لاننى اصبحت قريبا من اسـرتى التـى تستطيع ان تزورنى بسهولة دون ان تتجشم مـشقة الـسفر الطويـل وتكاليفه .

كان معتقل الزيتون قصرا كبيرا تحوطه حديقه ضخمة . ومازال هذا القصر قائما حتى اليوم .. ولكنه تحول من سجن الى مدرسة .. اما الحديقه فقد امتلات بالمبانى الحديثة . وفى هذه الحديقة بدأنا نمـارس

حياتنا الجديدة بنشاط وهمة وكأننا نسينا اننا فى سجن : وركزنا معظم نشاطنا على زراعة الحديقة وتربية الارانب .. التى اكلنا منها اطباقا لذيذة وشهية .

وكاد العمل فى حديقة السجن ينسينا همومنا .. لولا منظر السور الرهيب الذى يحيط بنا من كل جانب ويذكرنا بالحقيقة .. بذكرنا بحريتنا التى تركناها بالخارج .. وبوطننا الذى فقد هو الاخر حريته .

وفى معتقل الزيتون التقيت بالوان مختلفه من المعتقلين .. الذين دخلوا المعتقل لاسباب مختلفة .. وبأوامر صدرت من جهات وسلطات مختلفة ايضا .

التقيت بجلال الحمامصى وموسى صبرى اللذين دخلا المعتقل بأوامر من حكومة الوفد بسبب قضية الكتاب الاسود الذى اصدره مكرم عبيد ضد النحاس : والتقيت بمحمد صبيح من مصر الفتاة ... والتقيت بمجموعة من الشوام المتمصرين الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية لانهم كانوا يؤيدون حكومة فيشى التابعة للمحور .. ومن المعروف ان سوريا ولبنان ــ وطن هؤلاء الشوام ــ كانتا خاضعتين لاحتلال حكومة فيشى الفرنسية .

وكان معنا فى المعتقل ايضا شخصيات كاريكاتورية تسترعى الانتباه .. والابتسام احيانا .

ومن بين هذه الشخصيات " كونت " من جمهورية " استونيا " التى تقع على بحر البلطيق .. والتى كانت جمهورية مستقله فى ذلك الوقت .. ثم استولى عليها الاتحاد السوفيتى خلال الحرب العالميه الثانية هى وجمهوريتى " لاتفيا " " ولتوانيا " .. وضمهم جميعا اليه .

وكانت العادات والتقاليد الارستقراطية التى يصر الكونت علـــى التمسك بها وسط جدران السجن .. تدعو للسخريه والضحك فى كثيـــر من الاحيان .

لقد رفض الكونت ان يقيم معنا فى الدورين اللذين يتكون منهما المعتقل .. وفضل الاقامة فى " البدروم " وحده .. لانه ضـــخم ويـــذكره بالجد الضائع الذى تركه فى استونيا . وبعد فترة بدأ الكونـــت يتنـــازل ويقيم علاقات طبيعية بين مقره الرسمى فى " البدروم " وبين الـــدورين اللذين نقيم فيهما !!

وتطورت هذه العلاقات الى حد انه بدأ يطبخ لنا اكلات " استونيه " خاصة .. وفى يوم اعد لنا وليمه فاخرة ودعانا الى البدروم لكى نأكل .. وجلسنا ننتظر الطعام على احر من الجمر وكنا فـــى فـــصل الـــشتاء وفوجئنا بالكونت يرفع المراتب التى ينام عليها ويخرج من بينها " حلل الطبيخ " وهى ساخنة .. وقبل ان نعبر عن دهشتنا شـــرح لنـــا الامـــر بطريقته الارستقراطية قائلا :

لقد وضعت الحلل بين المراتب لكى تحتفظ بحرارتها وتـــستمتعوا بالطعام وهو ساخن !! والى جانب الكونت الاستوانى .. كان هناك ابـــن البلد ــ خفيف الظل ــ الذى يأتى الى المعتقل ويفرج عنه ... ثم نفاجا به يعود الى المعتقل مرة أخرى وكأنه مرتبط به بشئ ما !!

وفعلا كان هناك سبب غريب يدعو هذا الشخص بالذات للعـــودة الى المعتقل كلما افرج عنه ... فقد كان يعمل بائعا للكتب فى حى سيدنا الحسين .. وكان رزقه محدودا .. وفى مرة كان يشتم الانجليز علنا .. فقبضت عليه السلطات المصريه واودعته المعتقل لانه يهدد الحلفاء فى زمن الحرب !! وفى المعتقل اكتشف هذا الانسان البسيط ان هناك مرتبا

يعطى للمعتقلين ــ وقد رفضت انا وزميلى هذا المرتب لاننـــا لا نقبـــل ثمنا لحريتنا ــ واكتشف انا مرتب السجن اكبر من دخله خارج السجن ..

ولهذا كان يعود دائما للمعتقل بعد يوم او يومين من الافراج عنه !! .. وكان زميلنا بائع الكتب يقضى ايام المعتقل فى سعادة وراحة بال .. ويوفر من المرتب الذى يقبضه استعدادا لايام الضنك بعـــد الافـــراج عنه نهائيا .

ومن اغرب الشخصيات التى قابلتها فى معتقل الزيتـــون " ابـــو شادى " الذى كان موظفا كبيرا بوزارة الداخليه وكان " اسطى " فى لعبة الانتخابات .. وقد اعتقل فى عهد وزارة الوفد ثم افرج عنه بعد اقالـــة الوفد مباشرة .. وكلفه احمد ماهر بان يذهب الـــى مكتبـــه بالداخليـــة مباشرة لكى يضع يده على جميع اوراق وزير الداخليه الوفدى ثم يعـــد بعد ذلك لاجراء الانتخابات العامة .

ولم ينس " ابو شادى " طبيعته كمسئول بالداخليه حتى وهو فى المعتقل .. فعندما قمت بثورة ضد ادارة المعتقل لما اســـاءوا معاملتنـــا ونصبت المتاريس بين الدورين الاول والثانى جاء يعـــاتبنى ويقـــول : كيف نقوم بثورة ونحن مسجونون . فقلت له : صحيح نحن مسجونون .. ولكننا نملك على الاقل القدرة على الرفض والمقاومة .. ولم يستطع الرجل ان يفهمنى لانه لم تكن هناك لغة مشتركة بيننـــا .. فقـــد كنـــت اتحدث كانسان يأبى الظلم بطبعه .. وكان يتحـــدث كمـــسئول بـــوزارة الداخليه : لا ينسى وظيفته حتى وهو مسجون !!

وعندما اقيلت وزارة النحاس فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ افرجت الحكومة الجديدة عن ابو شادى كما قلت : كما افرجت عن الحماصى وموسى صبرى .

وكل اعضاء حزب الكتله الذين دخلوا المعتقل بسبب قضية الكتاب الاسود .. اما الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية ــ وانا واحد منهم ــ فلم يطرا على وضعهم اى تغيير .. حكومات تذهب وحكومات تجئ .. وابواب المعتقل تفتح وتغلق ونحن فى مكاننا ..

وكنت اتصور ان حكومة احمد ماهر ستنظر الى قضيتنا بشكل مختلف عن حكومة النحاس .. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .. فنحن فى نظر الحكومتين اعداء للانجليز .. والانجليز فقط هم الذين يملكون سلطة الافراج عنا !!

وقررت الا انتظر قرار الافراج الذى لن يأتى من جانب الانجليز ابدا .. قررت ان اهرب من المعتقل .. وان احصل على حريتى بذراعى .

كان حسن عزت على اتصال دائم بى منذ هروبه من معتقل المنيا .. ارسلت له اقول اننى قررت الهرب فرتب امورك لذلك .

وبدأت خطة الهرب بالاضراب عن الطعام انا وبعض المعتقلين .. وظللت مضربا عن الطعام رغم تراجع زملائى فى الاضراب .. واضطرت ادارة المعتقل الى نقلى الى مستشفى القصر العينى الجديد .. ومن هناك هربت بمساعدة حسن عزت .

وقررت بمجرد هروبى من معتقل الزيتون ان استأنف نشاطى السياسى الذى بداته قبل دخولى المعتقل .

www.anwarsadat.org

وكان تنظيم الضباط الذى شكلته سنة ١٩٣٩ مازال مستمرا فى العمل ــ رغم اعتقالى سنة ١٩٤٢ ــ بقيادة الرجل الثانى فى التنظيم وهو عبد المنعم عبد الرؤوف .. وكنت من ناحيتى اعد عبد المنعم لكى يحل محلى فى قيادة التنظيم اذا تعرضت لاى مكروه .. وهذا تقليد عسكرى معروف ان يكون لكل تنظيم قائد وقائد ثان .. وقبل ان ادخل السجن قمت بتعريف عبد المنعم بحسن البنا الله يرحمه ــ كجزء من عملية اعداده السياسى .

وعندما اعتقلت فى صيف ١٩٤٢ تولى عبد المنعم عبد الرؤوف قيادة التنظيم بالفعل .

فى هذه الفترة كان جمال عبد الناصر يخدم هو وكتيبته فى السودان وكان ضابطا متميزا ومعروفا وعندما عاد الى مصر فى اواخر سنة ١٩٤٢ اتصل به عبد المنعم عبد الرؤوف وضمه الى التنظيم واستمر جمال فى التنظيم ثم تسلم مسئوليته بالكامل فيما بعد .

وعندما هربت من المعتقل كان عزيز المصرى مازال فى مستشفى السجن بقرة ميدان وكانت الاتصالات تجرى بينى وببينه عن طريق ضابط بوليس كان معنا فى التنظيم اسمه صلاح دسوقى ولكنها كانت اتصالات فى حدود الاطمئنان على صحته وحالته العامة لان الرجل تحمل الكثير من جراء نشاطنا السياسى ورغم ان نشاطه كان متوقفا فى هذه المرحلة الا ان اسم عزيز المصرى كان يشكل الارضيه الصلبه التى يتحرك عليها النشاط الوطنى فى هذه المرحلة .

وظل تنظيم الضباط ينمو حتى وصل الى سنة ١٩٥١ .. وكان جمال عبد الناصر الذى تسلم التنظيم قد قسمه الى خلايا متماسكه واستغل جمال موقعه كأستاذ فى كلية اركان حرب لخدمة التنظيم وضم

مزيد من الضباط اليه . وعندما وصل التنظيم الى سنة ١٩٥١ بدأ التساؤل بين صفوفه عن القيادة التى تتحمل المسئولية على قمته .. ولهذا فكر جمال فى تشكيل الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار لقيادة التنظيم وهى التى تحولت بعد ذلك الى مجلس قيادة الثورة .

وشكل جمال الهيئة التأسيسية من عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال الدين حسين وهؤلاء الثلاثة كانوا معه فى حرب فلسطين .. ومن ثلاثة اخرين كانوا فى التنظيم الذى بداته انا فى سنة ١٩٣٩ وهم عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وخالد محى الدين.

وللحقيقة والتاريخ اقول ان جمال عبد الناصر هو الذى رئحنى انا وعبد المنعم عبد الرؤوف لعضوية اول هيئة تأسيسية للضباط الاحرار وانه اصر على ذلك كنوع من الوفاء منه والعرفان بالدور الذى قمنا به وهذا جميل لا انساه لعبد الناصر ماحييت .

فقد كنت بعيدا عن صفوف الجيش لمدة ٨ سنوات كاملة منذ فصلى من الخدمة سنة ١٩٤٢ وحتى عودتى سنة ١٩٥٠ ... والبعيد عن صفوف الجيش يصبح بالضرورة بعيدا عن ذاكرة الضباط لان صفوف الضباط تشهد افواجا جديدة من خريجى الكلية الحربية فى كل عام لا تعرف اى شئ عن الضباط القدامى الذين تركوا الخدمة فالكلية الحربية تستقبل فى كل عام الف طالب جديد اى ان الجيش يستقبل الف ضابط فى العام وخلال ثمانى سنوات قضيتها خارج الخدمة تدفق على صفوف الجيش الاف الضباط الذين لا يعرفون شيئا عما حدث سنة ١٩٤٢ .

واخطرنى جمال بانضمامى الى الهيئة التأسيسية وبذلك تشكلت اول هيئة تأسيسية للضباط الاحرار من تسعة اعضاء كان عبد المنعم عبد الرؤوف واحدا منهم .

ولكن عبد المنعم عبد الرؤوف فصل من الهيئة التأسيسية قبل قيام الثورة ولهذا قصة طويلة .

كنت قد عرفت عبد المنعم بحسن البنا قبل دخولى المعتقل سنة ١٩٤٢ كما ذكرت سابقا ولم انضما جمال الى التنظيم فى اواخر ١٩٤٢ قام عبد المنعم بتعريف جمال بحسن البنا كما فعلت انا معه .

ولكن موقفى انا وجمال مع حسن البنا كان مختلفا عن موقف عبد المنعم عبد الرؤوف .

لقد قلت للبنا بمنتهى الصراحة ان تنظيم الضباط لا يمكن ان ينضم لاى حزب او هيئة وان يعرض نفسه للصراعات والانقسامات الحزبية لان هذا التنظيم يعمل على اساس وطنى ومن اجل مصر كلها .

وكذلك قال له جمال عبد الناصر .

وكان هدف البنا ان يضمنا الى الاخوان المسلمين وان نعمل ضمن تشكيلاته العسكرية وكان للاخوان فى هذا الوقت فرع عسكرى بقيادة ضابط على المعاش اسمه محمود لبيب من الذين شاركوا فى حرب ليبيا وفى الحرب العالمية الاولى ولم يكن يصلح لقيادة اى عمل عسكرى .

كان موقفا ــ جمال وانا ــ الا ننضم لتشكيل الاخوان العسكرى او لاى تشكيل حزبى اخر .. وفى حين لم ينجح البنا فى اقناعنا بالانضمام اليه فانه نجح مع عبد المنعم عبد الرؤوف مستغلا بعض ظروفه الخاصة .

كان عبد المنعم قد عانى من التشرد والحاجة بعد اشتراكه فى عملية الطائرة مع عزيز المصرى فقد اوقف مرتبه فى الجيش واصبح بلا مورد مالى هو وعائلته ورغم اننى قمت بالواجب تجاه عائلة عبد المنعم كما فعل وجيه خليل مع عائلتى تماما فان ذكرى ايام التشرد الكئيبة لم تفارق مخيلة عبد المنعم وظل الرجل يبحث عن الضمان له ولعائلته فى حالة تعرضه لاى متاعب اخرى .

وكانت هذه نقطة الضعف التى دخل منها حسن البنا الى عبد المنعم عبد الرؤوف .. فقد اقنعه بان الانضمام الى تنظيم ضخم كالاخوان المسلمين يوفر له الامان والضمان الذين يبحث عنهما .

وحاول عبد المنعم ان يقنعنا بوجهة النظر هذه ولكن موقفنا فى هذه القضية لم يكن قابلا للتغير .

ووصل الى علمنا بعد ذلك ان عبد المنعم يقوم بعمل تعبئه بين الضباط للعمل تحت قيادة الاخوان وكان هذا امرا خطيرا يستدعى انعقاد الهيئة التأسيسية وطرح جمال القضية على الهيئة فقررنا فصل عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس السنة التى عين فيها وهى سنة ١٩٥١ .

ولم يكن موقفا هذا من الاخوان يعنى عدم التعاون معهم بشكل قطعى بل على العكس فقد قمنا بشكل من اشكال التعاون العسكرى خلال معارك القناة سنة ١٩٥١ كان جمال عبد الناصر يقوم بتدريب تشكيلات الاخوان العسكرية للاشتراك فى هذه المعارك وكنا نرسل لهم السلاح اللازم لذلك من غزة ورفح وكان جمال يعرف جميع كوادرهم العسكرية وميادين التدريب الخاصة بهم ولذلك عندما حدث الصدام معهم سنة ١٩٥٤ استطاع تصفيتهم بسهولة .

ولم ينسى عبد المنعم عبد الرؤوف واقعة فصله من الهيئة التاسيسية فقد اوغرت هذه العمليه صدره علينا وعندما حدث الصدام بين الثورة والاخوان سنة ١٩٥٤ وقف مع الاخوان ضدنا وعلمنا انه دبر خطة للقضاء علينا تتلخص فى ان يدخل علينا مجلس الوزراء وحول وسطه حزام من المتفجرات لينسفنا وينسف نفسه مرة واحدة وكان يمكن ان تنجح هذه الخطة بسهولة لان عبد المنعم صديق وزميل قديم ودخوله علينا فى مجلس الوزراء لم يكن ليثير الشكوك فى نفوسنا .

وعند القبض على الاخوان هرب عبد المنعم الى لبنان .

وفوجئت بجمال يسالنى فى يوم من الايام .

ــ ايه رايك يا انور لو قبضنا على عبد المنعم نعمل فيه ايه ؟

واجبت بلا تردد .

هذه مسألة لا تحتاج الى مناقشه وانا دوغرى فى مثل هذه المسائل المبدئيه صحيح عبد المنعم كان مساعدى فى التنظيم لكن لا بد ان نتصرف معه بمنتهى الشدة والحسم .

ويبدو ان جمال كان يجس نبضىوانه سهل بعد ذلك عملية هرب عبد المنعم لانه كان وزيرا للداخليه فى هذا الوقت .

المهم ان عبد المنعم ظل هاربا فى لبنان وتزوج هناك وانجب ولم يعد الى مصر الا بعد وفاة جمال : وقد اشتريت له شقتين فى مدينة نصر على حساب الدولة واعطيته معاش عضومجلس قيادة الثورة وكان هدفى من ذلك ان يحس عبد المنعم بالامان الذى ظل يبحث عنه طويلا .